هوامش

يشجع الاستقلال المادي للمرأة في الصين والاعتراف بحقوقها وتحصيلها العلمي العالي الأزواج على الاعتماد على زوجاتهم. وأصبح ذلك ظاهرة تعكس خللاً بنيوياً في المجتمع

يتسوقان في تيانجين (يانغ بينغ/ Getty)

آباء أمهات

استبدال أدوار مقبول في الصين

بكين ـ **علي أبو مريحيل**

أظهر مسح حديث أجراه المركز الصيني للصحة النفسية في العاصمة بكين أن 50 % من الرجال الصينيين الذين استُطلعت آراؤهم يفكرون في أن يصبحوا آباءً متفرغين لرعاية أبنائهم في المنزل في تحدّ واضح للأعراف التقليدية في المجتمع. كما كشف أن 38 % منهم لا مانع لديهم في استبدال أدوارهم مع زوجاتهم، بمعنى الحلول بدلاً منهن في المطبخ، وتولي الزوجة مسؤولية المنزل المادية من خلال الانصراف إلى العمل بدوام رسمي. وأظهر المسح جدالاً واسعاً في شأن ميل هذه الفئة من الرجال إلى تنفيذ مهمات الطبخ والتنظيف ورعاية الأطفال المخصصة للزوجات في المنزل في الوضع الطبيعي. ولم يقتصر هذا التوجه على مقاومة شبان التقاليد الأبوية المتجذرة، بل ألهم بعض من لم يتزوجوا بعد تفضيل هذا الخيار باعتباره تحرراً من ضغوط بيئة العمل ومسؤوليات الزوج تجاه أسرته. وقد انقسم رواد مواقع التواصل الاجتماعي في الصين حول هذا الأمر، ورأى البعض أن الظاهرة استجابة طبيعية لضغوط الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وآخرون أنها تشير إلى شرخ كبير في القيم والمثل التي ميزت المجتمع الصيني طوال القرون الماضية.

انصهار الفوارق

يقول دا وي، وهو متزوج ولديه طفلة في الـ 12 من العمر، ويعمل في مصنع ملابس بمدينة شنغهاي، لـ«العربي الجديد»: «لا أمانع البقاء في المنزل لرعاية ابنتي الوحيدة مقابل عمل زوجتي وتحملها مسؤولية مصروف البيت. زوجتي تعمل منذ سنوات رغم إلحاحي الشديد عليها بأن تترك العمل لتدير شؤون المنزل، وتتابع ابنتنا التي تحتاج في هذه المرحلة العمرية إلى رعاية أسرية كثيفة، وما دمت لم أنجح في ذلك، لا مانع لدي من أن أقدم على هذه الخطوة إذا كان الثمن هو الحفاظ على ابنتي وتوفير رعاية خاصة لها بدلاً من بقائها مع جدها المسن الذي يدبر أمره بصعوبة. من جهته، قال لي تشاو، وهو طالب في جامعة صن يات سن، لـ«العربي الجديد»: «في الوقت الحالي لا فارق بين الرجل والمرأة، كلاهما يعمل، ولديهما القدرة على تحمل المسؤولية داخل المنزل أو خارجه. إلى ذلك جعل انصهار الفوارق في المجتمع الصيني بين الذكر والأنثى تبادل الأدوار ممكناً، وعلى سبيل المثال نجد فتيات يتشبهن برجال على صعيد المظهر الخارجي أو العكس، فلماذا يجب أن نتوقف عند تبادل الأدوار في مسألة الرعاية إذا توافق الزوجان على ذلك، وإذا كانت الغاية تقاسم المسؤوليات على قدم المساواة بما يحفظ الأجواء الأسرية والتواصل الاجتماعي بين الآباء والأبناء.

دوافع مشروعة

وتعلّق الباحثة في مركز دونغوان للإرشاد والتأهيل النفسي، لورا شانغ، على الظاهرة بالقول لـ«العربي الجديد»: «الاستقلال المادي للمرأة أفسح في المجال أمام العديد من الظواهر السلبية في المجتمع الصيني، أبرزها عزوف النساء عن الزواج والإنجاب، ووضعهن شروطاً صعبة أمام الأزواج في مسألة العصمة والملكية ورعاية الأبناء. والدوافع التي تقف وراء إبداء بعض الأزواج استعدادهم لشغل مقاعد الأمومة لا علاقة لها بالرغبة في الاسترخاء وتجنّب المسؤولية لأن المهمات المنزلية أيضاً مجهدة بدنياً وذهنياً، لكن السبب يرتبط برغبتهم في الحفاظ على تماسك الأسرة ومتابعة شؤون الأبناء بدلاً من إلقاء هذه المهمات على عاتق الأجداد أو مدبرات المنزل».

وترد لورا على سؤال عن عدم رغبة زوجات عاملات في ترك العمل للتفرغ لرعاية الأبناء بالقول إن «نسبة كبيرة من الزوجات العاملات يخشين ترك الوظيفة كي لا يتحكم فيهن الرجل، ويعتبرن العمل وجني الأموال حصانة ضد تقلبات الزوج المزاجية، لأنه في مجتمع ذكوري لا تُحترم المرأة إلا إذا كانت عاملة ومنتجة. عدا ذلك تتعرض للعنف الأسري والتهديد بالطلاق وسوء المعاملة من الزوج أو من أفراد أسرته». تضيف: «الأزواج أكثر استعداداً لتقبل هذا الدور لأن نسبة النساء العاملات كبيرة جداً مقارنة بحقب زمنية سابقة كان يُنظر فيها إلى المرأة أنها مجرد كائن يعمل لإرضاء الزوج وتحقيق رغباته، وأنه لا مكان لها خارج المنزل أو المطبخ، بينما تتمتع المرأة اليوم بحقوق أوسع وتتولى مناصب إدارية عالية، وتزاحم الرجل في معترك الحياة وكل ميادين العمل».

يشار إلى أن معدل مشاركة النساء في القوى العاملة في الصين يعد من بين الأعلى في العالم. وأفاد تقرير أصدره عام 2023 المنتدى الاقتصادي العالمي، وهو منظمة دولية غير ربحية مستقلة مقرها سويسرا، وصل معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة في الصين إلى 63 %، وهو أعلى بكثير من المتوسط الدولي البالغ 47 %، ما يجعلها من بين الأفضل بين الاقتصادات الكبرى في العالم.

باختصار

لا يُمانع 38 % من الأزواج في استبدال أدوارهم مع زوجاتهم، والحلول بدلاً منهن في المطبخ في وقت تتولى الزوجة المسؤولية المادية للمنزل

■■■

يفضل شبان لم يتزوجوا الخيار باعتباره تحرراً من ضغوط بيئة العمل ومسؤوليات الزوج تجاه أسرته

■■■

وصل معدل مشاركة المرأة في القوة العاملة في الصين إلى 63 % العام الماضي

وأخيراً

«كتاب كل الكتب»

نجوى بركات

لستُ أدري لما أعادتني الأحداث الجارية في غزّة ولبنان إلى نتاج الإيطالي روبرتو كالاسو (1941 – 1921)، الناشر والناقد والكاتب الذي عُرف بتأليفه عمارة أدبية بعنوان «نتاج بلا اسم»، مؤلّفة من 11 كتابا، صدر أوّلها في عام 1983 «خراب كاش» وآخرها «لوح الأقدار» عام 2020. تبلغ صفحات المجموعة نحو خمسة آلاف، وتتميّز بثبات فكرتها المركزية القائمة على تحليل العلاقة بين الأسطورة وظهور الوعي الحديث، محاولة تتبّع أصل الحداثة والعصر الحالي، مع منح الأدب الذي يعتبره كالاسو مثاله الأعلى، اسم «الأدب المطلق»، لمقدرته على تقديم ذاته معرفةً مكتفية بذاتها، فالأدب «مطلق» لأنه يريد أن يكون «حرّاً، متفلتا» من أي التزام أخلاقي أو اجتماعي، ولأنه، في الآن نفسه، رديف البحث عن هذا المطلق. وبهذا، هو يرث بعض خصائص طقوس التضحية التي كانت تعتبر الطريقة الأكثر فعالية للتواصل مع الإلهي. فبرأي كالاسو، في عالمنا المعاصر الذي وضع الإلهي جانبا، أضحت القدرة على الاحتفال باللامرئي صلاحية الأدب وحده. هذا ولا ننسى أن هذه العمارة الهندسية السردية الكبيرة التي خلفها كالاسو ذات طابع مركّب، تتجاور فيه المقاطع الأدبية مع الاقتباسات وكتابة جديدة لبعض الأساطير مختلفة المصادر، ومقتطفات من النقد الأدبي والفلسفي.

لا يعدو كل ما سبق أن يكون تقديما لكاتب وأيضا لكتاب ذكّرتني به أحوالنا السيئة، وأتمنّى الإشارة إليه في هذه العجالة، وبالتحديد لجهة انكشاف النزعة الدموية ورغبة التدمير والقتل لدى الإسرائيليين. إنه «كتاب كل الكتب» (2019) لكالاسو، الذي يركّز، بشكل أساسي، على التوراة باعتباره الرحم الأول للغرب، حيث يجول الكاتب المثقف في قلب الأساطير التوراتية، عارضا تأملاته في مفاهيم الأضحية والانفصال والمنفى والاختيار (أو الاصطفاء)، مع التركيز على تناقضات العهد القديم، وهو بهذا يواصل مشروعه في سبْر المعتقدات الجماعية، وما تتضمنّه من انتقال رؤية الماضي (إلى الحاضر) بما يتعلق بالتقديس والاستبدال والعنف الذي تسمح به. بالطبع، لا يتعلّق الأمر بالنسبة لكالاسو، ولا بأي حال، بتقديم تفسير قاطع أو بجعل شروحاته تاريخية أو سياسية. ومع ذلك، لا بد من الاعتراف باستحالة عدم ربط نصّه هذا بالسياق الدموي المستمر في فلسطين منذ النكبة، فقد تم تناسي امتلاك العبرانيين أورشليم وقتاً قصيراً وزائلاً، وتعرّضهم الدائم للنفي بسبب الأخطاء وتعدّد الآلهة وتقديم الأضاحي لآلهة أخرى، وعدم عبادة إله واحد تحوّل ببطء إلى يهوه. وعلى

> يقول أحد مراجعي «كتاب كل الكتب» إن إله العبرانيين قتل جميع المصريين الأبكار قبل السماح للذي لم يكن بعد شعبه بترك عبوديّته

ما يبدو، ما يهم كالاسو هو الأزمنة البدائية والإيمان بإله يتطلّب التضحية، من دون إيلاء عناية للتفسيرات الحاخامية والنصوص الدينية، أو حتى لانتهاء الإيمان بضرورة التضحية. أما السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه، بحسب كالاسو، فهو: لماذا من الضروري قتل كائن حيٍّ لبلوغ اللامرئي؟ وهو سؤال ظلّ من دون إجابةٍ، مع أن القصة بأكملها كانت محاولة غير مجدية للإجابة عنه، فحول طلب الرب من إبراهيم ذبح ابنه، يقول كالاسو: «للهروب من خطأ، من الضروري ارتكاب خطأ آخر». هذا هو أساس التضحية أو تقديم الأضاحي، قصّة دموية بشكل خاص، وسلسلة من جرائم القتل، في زمن المعتقدات والوحشية والبداوة.

ولا بأس من أن نتذكّر، يقول أحد مراجعي «كتاب كل الكتب» إن إله العبرانيين قتل جميع المصريين الأبكار قبل السماح للذي لم يكن بعد شعبه بترك عبوديّته. هذا ويكرّر كالاسو، في أكثر من موضع، أن الرابط بين الشعب المختار وإلهه وبين الملوك الذين يختارهم لنفسه، يحصل في جو من الشعور بالذنب والعقاب وإعادة إحياء الهرطقة: «الناموس يفترض القتل، كما يفترض القتل الناموس»...

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**